تمكين الطفل العربي لمهارات القرن الحادي والعشرين

أ.د. شـبل بـدران *

((.. لديَّ حُلْم بأن أبنائي الأربعة الصغار سيعيشون يومًا في أمةٍ لا يُحكم فيها عليهم وفقًا للون بشرتهم، ولكن لمكنون طباعهم.))
(مارتن لوثر كينج الصغير)

((.. إذا أردنا أن نُنشئ سلامًا دائمًا علينا أن نبدأ بالأطفال.))
(المهاتما غاندي)

((.. نحن نحمل المستقبل في أيدينا، معًا، يجب أن نتأكد من أن أحفادنا لن يكون عليهم أن يتساءلوا لماذا أخفقنا في القيام بالشيء الصحيح، وجعلناهم يتحملون العواقب..))
(بان كي مون ٢٠٠٧)

الأمين العام للأمم المتحدة

بـدلًا من المقدمة:

يعيش عالمنا المعاصر – عالم القرن الحادي والعشرين، الألفية الثالثة – العديد من التحوُّلات والتغيُّرات على الصعيد الاقتصادي والاجتماعي والسياسي والثقافي والتربوي، ويأتي على رأس

* أستاذ علم اجتماع التربية – عميد كلية التربية ـ جامعة الإسكندرية الأسبق – مصر.

تلك التحوُّلات ثورة المعرفة والمعلومات، وثورة التكنولوچيا، وهو عصر يتسم بالتغير السريع والمتلاحق في أنظمة المعلومات والمعرفة، هذا فضلًا عن الثورة الصناعية الرابعة، ثورة الرُّوبُوت والحاسب الآلي والذكاء الاصطناعي والاتصالات الذكية والحَوْسَبة السحابية وتحليل البيانات الكبيرة.

وتتنامى مع مطلع القرن الحادي والعشرين دعوات حول التنمية المستدامة؛ مما جعل العديد من دول العالم ومنظماته الدولية تضع عقودًا لتلك التنمية المستدامة، وفي مجتمعنا تم وضع استراتيـچـية التنمية المستدامة 2030 والتي تضمنت على رأس أولوياتها التعليم والمعرفة والابتكار، ولقد أدى ذلك إلى ضرورة تغيير نُظُم التعليم لكي تتواكب مع تلك الثورات وتحقق أهداف التنمية المستدامة في عالمنا العربي والإفريقي.

والورقة الحالية سوف تنصرف بشكلٍ رئيسٍ حول ثورة المعرفة والاتصالات، الثورة الصناعية الرابعة وما تتطلبه من مُنجزَات من النظام التعليمي؛ وكذلك متطلبات التنمية المستدامة، والمهارات الواجب توافرها في أطفال اليوم، وشباب الغد وقاداته.

أولًا: معالم الطفولة في القرن الحادي والعشرين.

ثانيًا: مُتطلَّبات التنمية المستدامة.

ثالثًا: مهارات القرن الحادي والعشرين.

أولًا: معالم الطفولة في القرن الحادي والعشرين

يتسم القرن الحادي والعشرون بازدياد الاهتمام بمرحلة الطفولة المبكرة، فوفقًا لاجتماع التعليم الذي عُقد في نيودلهي عام 1993 لمراجعة مقررات مؤتمر (جومتين / تايلاند عام 1990). إن التعليم يُسهم في تطوير عقلية الأطفال في أعوام عمرهم المبكرة، ويرفع مستوى استعدادهم المدرسي وقدراتهم لتلقِّي المزيد من التعليم والتعلُّم في المستقبل.

وفي المؤتمر العالمي للتعليم الذي عُقد في داكار – السنغال في أبريل 2000، أُعطيت أولوية كبيرة لتطوير التعليم والتعلُّم في مرحلة الطفولة المبكرة، والتزمت فعَّاليات هذا المؤتمر بالسعي دوليًا لتوسيع وتحسين الرعاية والتربية في هذه المرحلة وبخاصة لصالح الأطفال الأشد حرمانًا، علمًا بأن هناك خبرات وأمثلة متعددة تؤيد هذا الاتجاه، وتؤكد أن حتى أشهُر عدَّة من التعليم المبكر للطفل تحفز قدراته وتعزز الفائدة التي تعود عليه من التعليم الابتدائي بشكلٍ كبير، وهذا

الاستعداد المُسبَّق للأطفال ينعكس أيضًا في شكل انخفاض معدلات رسوبهم وتسرُّبهم من الدراسة في المراحل اللاحقة [1].

علاوة على أهمية تلك المرحلة في حياة الطفل، فهي توفر له أول اتصال بالنظام التعليمي وإكسابه بعض الأُسس الأوَّلية لتعلُّم القراءة والكتابة والحساب، فضلًا عن إكسابه المهارات الضرورية اللازمة للتعاطي والتعامل مع مُستجدَّات العصر الذي يعيش فيه.

ولقد تبلورت جهود المؤسسات الدولية العالمية بشأن الاهتمام بالطفولة حينما أصدرت الأمم المتحدة وثيقة "إعلان حقوق الطفل" في عام 1959، ولقد تضمَّنت هذه الوثيقة عشرة مبادئ احتوت على عددٍ من الحقوق الرئيسة في التعليم والتربية وحق الحماية من كل أنواع الاستغلال أو عدم التميز. ولقد أسفرت هذه الجهود عن انتهاء اللجنة المُشكَّلة في الأمم المتحدة من إعداد وثيقة حقوق الطفل في ديسمبر عام 1988، وتمت الموافقة عليها من الجمعية العامة للأمم المتحدة في ديسمبر 1989، ولقد وافقت غالبية الدول العربية على وثيقة الإعلان العالمي لحقوق الطفل في ديمسبر 1990، وأعلنت التزامها بكل ما جاء بهذه الوثيقة القانونية من بنود سواء أكانت مرتبطة بحق الطفل في توفير الحماية اللازمة، وحق تكوين هُويَّة الطفل وحق الطفل في تأمين وجوده بين أبويه، وحق الطفل في حرية التعبير والتفكير وإبداء الرأي، وحقه في توفير الحماية والرعاية اليومية الوالدية، وحق الطفل في أن تكرِّس الدولة جهودها لتلبية احتياجاته وتوفير مستوى مقبول من الحياة المعيشية له، وحقه في التعليم والتمتع بالراحة واللعب وقضاء وقت الفراغ، وحق الطفل في حماية الدولة له من الاستغلال الاقتصادي أو الجنسي، وحقه في توفير الدولة وسائل الممارسة الممكنة له كافة [2].

كما أن اليونسكو في تقريرها العالمي لرصد "التعليم للجميع بحلول عام 2015" أكَّدت العديدَ من الأهداف لرعاية الطفولة المبكرة وتحقيق التعليم للجميع، وجاء في المادة الأولى: تأمين حاجات التعلُّم الأساسية: – ينبغي تمكين كل شخص – سواء أكان طفلًا أم يافعًا أم راشدًا – من حق الإفادة من الفرص التربوية المصممة على نحوٍ يلبي حاجاته الأساسية للتعلم. وتشمل هذه الحاجات كُلًا من وسائل التعليم الأساسية (مثل القراءة والكتابة والتعبير الشفهي والحساب وحل المشكلات)، والمضامين الأساسية للتعلم (كالمعرفة والمهارات والقيَم والاتجاهات) التي يحتاجها البشر من أجل البقاء؛ ولتنمية قدراتهم كافةً وللعيش والعمل بكرامة وللمساهمة مساهمة فعالة في عملية التنمية ولتحسين نوعية حياتهم ولإتخاذ قرارات مستنيرة ولمواصلة التعليم، ويختلف

نطاق حاجات التعلُّم الأساسية وكيفية تلبيتها باختلاف البلدان والثقافات وتتغيران لا محالة بمرور الزمن[3].

وفي عام 2010، أكَّد تقرير المعرفة العربي للعام 2011/2010 أن معدل التغطية الشاملة للأطفال من الفئة العمرية 0 – 6 سنوات في مراكز رعاية الطفولة النظامية في جميع أنحاء المنطقة العربية نحو 19٪ مقارنةً بالمعدل العالمي البالغ 41٪، ولا شك أن النسبة المئوية المرتفعة للأطفال تشكِّل عبئًا كبيرًا تعجز أمامه معظم الدول العربية عن استيعاب الأعداد الضخمة من الأطفال ضمن برامج رعاية الطفولة والتعليم المبكر، وزِدْ على ذلك ارتفاع نِسَب سكان الأرياف بما يحدُّ من قدرة هذه البرامج من الوصول إلى أطفال هؤلاء السكان.

وتتفاوت معدلات الالتحاق للأطفال ببرامج التعليم قبل المدرسي (برامج رياض الأطفال من 6 – 4 سنوات) بين بلد عربي وآخر، فهذه النسبة ترتفع في الكويت والإمارات العربية، لتقارب مستوياتها في بعض الدول المتقدمة. وفي الوقت ذاته، تنخفض تلك المعدلات في معظم الدول العربية الأخرى إلى ما دون المتوسط العالمي؛ خصوصًا دولة جيبوتي والعراق وليبيا وموريتانيا والسعودية وسوريا واليمن[4].

يعاني العديد من أطفال وطننا العربي الحرمان من فرصة الالتحاق بالتعليم قبل المدرسي (رياض الأطفال)؛ مما يشكِّل خطرًا على مستقبلهم ومستقبل الأمة العربية ذاتها، وعدم قدرتها على تمكين هؤلاء الأطفال من مهارات القرن الحادي والعشرين، ولقد أشارت تقارير اليونسكو إلى أن العديد من البحوث والدراسات عن النمو في مرحلة الطفولة المبكرة قد أكَّدت أن:

- تُعد أولى سِنِي الحياة مرحلة أساسية في نمو ذكاء وتكوين الشخصية والسلوك.
- أن برامج الرعاية والتنمية في مرحلة الطفولة المبكرة يمكنها أن تحسِّن التعلُّم والنمو في هذه المرحلة.
- أن تأثير هذه البرامج على الأطفال المنتمين إلى أوساط اجتماعية محرومة يكون أكبر على الأرجح من تأثيرها على الأطفال الأوفر حظًا.
- البرامج الجيدة هي التي تراعي الاختلافات في البيئات الثقافية والاجتماعية والاقتصادية التي يعيش فيها الطفل[5].

ومن المُلاحَظ أن الجهود الدولية تنصرف إلى الاهتمام بالطفولة بوصفها المدخل الحقيقي لتحقيق نمو الشخصية المتكاملة وتحقيق أهداف التنمية المستدامة، والتي وضعت على رأس

أولوياتها الاهتمام بالإبداع والابتكار الذي لا يكون إلا من خلال الاستثمار في الطفولة المبكرة؛ لذلك تهدف رعاية الطفولة المبكرة إلى التركيز على استثمار السنوات الأولى من عمر الأطفال، وتدل دراسات عديدة على أن التعليم المبكر يمهد للتعليم في مراحله كافة. وأن الأطفال الذين يتمتعون بالتعليم المبكر سيصلون إلى مستويات لن يصل إليها من حُرم منه. وأن السنوات الست الذهبية للطفل تشكِّل أساس التقدم كله في بقية العمر. والتعليم الجيد في مرحلة الطفولة المبكرة هو تعليم كلي متكامل، يُنمِّي القدرات، ويُنسِّق بين المعارف والمهارات، ويشمل تدريبًا عمليًا وتحفيزًا، واستكشافًا وتفاعلًا، والتعليم المبكر له مردود اقتصادي عالي على الفرد والمجتمع.

جدول (١)

يبين العائد النقدي المرتفع لمشروعات تنمية الطفولة المبكرة مقارنة ببعض المشروعات الخدمية والزراعية والصناعية، وفقًا لدراسة المعهد الدولي للتنمية[6]

المشروع	العائد النقدي على كل دولار
1 مشروع الري في الفلبِّين	1,48
2 مشروع تربية مواشٍ في أورجواي	1,59
3 مشروع كوندا الإسمنت أستونيا	2,27
4 مشروع تنمية الطفولة المبكرة ببوليڤيا	3,06
5 مشروع تنمية الطفولة المبكرة بالفلبين	3,00
6 مشروع تنمية الطفولة المبكرة في إفريقيا	7,16

من هنا فإن الاستثمار في الطفولة المبكرة يُعد مطلبًا أساسيًا وجوهريًا في تحقيق أهداف التنمية المستدامة، وضرورة من ضرورات تمكين الطفل العربي لمهارات القرن الحادي والعشرين، والتي من دونها لن نستطيع أن نخطو خطوةً للأمام في ركب التقدم في عالمنا المعاصر والذي يعيش ثورات علمية ومعرفية وتكنولوچية متجددة ومتغيرة كل يوم.

إن أطفالنا اليوم هم عماد المستقبل الجديد علينا وعليهم؛ لذا فإن تمكينهم من مهارات القرن الحادي والعشرين ضرورة حياة ووجود لنا ولهم.

ثانيًا: متطلبات التنمية المستدامة:

لقد مرت مفاهيم التنمية بمراحل عديدة منذ أواسط القرن الماضي، حيث كانت تعني وتهدف إلى "التنمية الاقتصادية" فقط بالعمل على زيادة الدخل القومي، فيرتفع دخل الفرد وتحسين ظروف حياته، ثم أُضيف إليها البُعد الاجتماعي من تحسين الخدمات الصحية والتعليمية إلى جانب البعد الاقتصادي، فأصبحت تُعرف بـ "التنمية الاقتصادية والاجتماعية" في أواسط الستينيات من القرن الماضي، ومع مطلع السبعينيات أخذ المفهوم في التطور السريع وأصبح يُطلق على "التنمية الشاملة، والبشرية"؛ أي تلك التي تهتم بالإنسان والبشر قبل الاهتمام بالحجر وظل مفهوم "التنمية الإنسانية" سائدًا حتى مطلع القرن الحادي والعشرين؛ فتراجعت كل تلك المفاهيم وأخذ مصطلح ومفهوم "التنمية المستدامة" مكانته في المحافل الدولية والمنظمات العالمية، وعلى رأسها الأمم المتحدة وأنشطتها كافة.

إن تمكين الطفل العربي من مهارات القرن الحادي والعشرين في أفق التنمية المستدامة، يتطلب الأمر منَّا أولًا التعرف على الأهداف المراد تحقيقها لتمكين الطفل العربي. فأهداف التنمية المستدامة والمهارات التي نسعى إلى بلورتها وتنميتها لدى الطفل العربي بصورة مقصودة في مؤسسات رياض الأطفال. والسؤال: ما هي تلك المهارات؟ هي بالتأكيد مهارات للإسهام في التنمية المستدامة؛ لذا فإن الأمر يتطلب أولًا أن نعرف الأهداف المراد تحقيقها حتى نحدد على وجه الدقة المهارات. من هنا فإن أهداف التنمية المستدامة هي المسعى والغاية التي نتطلع إليها، فأهداف التنمية المستدامة تتضمن (17) هدفًا و (169) غاية، و (229) مؤشرًا على الوجه التالي:

1- القضاء على الفقر.
2- القضاء التام على الجوع.
3- الصحة الجيدة والرفاه.
4- التعليم الجيد.
5- المساواة بين الجنسين.
6- المياه النظيفة والنظافة الصحية.

7- طاقة نظيفة بأسعار معقولة.

8- العمل اللائق ونمو الاقتصاد.

9- الصناعة والابتكار والهياكل الأساسية.

10- الحدُّ من أوجه عدم المساواة.

11- مدن ومجتمعات محلية مستدامة.

12- الاستهلاك والإنتاج المسئولان.

13- العمل المناخي.

14- الحياة تحت الماء.

15- الحياة في البَرّ.

16- السلام والعدل والمؤسسات القوية.

17- عقد الشَّرَاكات لتحقيق الأهداف.

وكل هدف من هذه الأهداف له غايات ومؤشرات لتحقيقه، فمثلًا التعليم، يشمل هدف التعليم (الهدف 4) :(7) غايات و (3) وسائل للتنفيذ، وللتعليم أثر على أجندة جدول أعمال أهداف التنمية المستدامة وهو مدرج في غايات أخرى، هي:

1- القضاء على الفقر.

3- الصحة

5- المساواة بين الجنسين.

8- العمل اللائق.

12- الاستهلاك المسئول.

13- تغيُّر المناخ.

16- السلام والعدل والمؤسسات القومية.

فمثلاُ الغاية رقم (4,1) "ضمان أن يتمتع جميع البنات والبنين والفتيات والفتيان بتعليم ابتدائي وثانوي مجاني ومنصف وجيد. مما يؤدي إلى تحقيق نتائج تعليمية ملائمة وفعالة بحلول عام 2030". وهناك عدة مشاريع وبرامج لتحقيق تلك الغاية، منها مثلًا: الثقافة القرائية، مبادرة تحسين أداء المدارس، المدارس المُعزِّزة للسلامة والصحة المدرسية، الحقيبة المدرسية، التمكين الرقمي في التعليم، تطبيق برنامج مدرستي الإلكتروني، الامتحانات الوطنية، برامج غير الناطقين

للغة العربية، المنهج الجديد للغة الإنجليزية للصفين: الأول والرابع، اللغة الفرنسية.

والتنمية المستدامة هي نموذج شامل للأمم المتحدة، كما في توصيف مفهوم التنمية المستدامة في تقرير لجنة (Brundtland) برونتلاند عام 1987 "التنمية التي تلبي احتياجات الحاضر دون المساس بقدرة الأجيال المقبلة على تلبية احتياجاتها الخاصة". والاستدامة هنا نموذج للتفكير حول المستقبل الذي يضع في الحسبان الاعتبارات البيئية والاجتماعية والاقتصادية، في إطار السعي للتنمية وتحسين جودة الحياة.

هذه المجالات الثلاثة: المجتمع، البيئة، الاقتصاد تتداخل، مثال: المجتمع المزدهر يقوم على بيئة صحية لتوفير الغذاء والموارد وتأمين المياه الصالحة للشرب والهواء النقي لمواطنيها. نموذج الاستدامة يختلف عن النموذج السابق للتنمية الاقتصادية الذي يصحبه عواقب ضارَّة اجتماعية وبيئية.

إن المفاهيم المرتبطة بالاستدامة في الـ (27) مبدأً التي تم الإعلان عنها في بيان "ريو دي چانيرو" لم تُدرج جميعها، حيث تم طرح رؤى أكثر وأكبر وأوسع أصبحت جزءًا من الحوار العالمي حول الاستدامة، على سبيل المثال:

- يجب استخدام منهج تفكير كُلِّي بدلًا من النظر إلى المشكلات بمعزل عن الآخر؛ لأن الاستدامة بالقضايا مترابطة وجزء من المجموع.
- فهم القضايا المحلية في سياق عالمي، والتعرف على حلول لمشكلات محلية من الممكن أن يكون لها عواقب على المستوى العالمي.
- إدراك أن القرارات الاستهلاكية الفردية تؤثر على استغلال الموارد وتصنيعها في أنحاء العالم.
- أَخْذ وجهات النظر في الاعتبار قبل الوصول إلى قرار أو حكم.
- الاعتراف بأن القيَم الاقتصادية، القيم الدينية، القيم الاجتماعية تنافس على أهمية الإنسان بمختلف اهتماماته وخلفيته التفاعُلية.
- الاعتراف بأن جميع البشر يتشاركون في سماتٍ عالمية.
- المعرفة في العلوم والتكنولوچيا إلى حدٍّ ما، ليس باستطاعتها حل جميع المشكلات.
- التأكيد على دور الجهود في المشاركة الاجتماعية على صانعي القرارات والذين تتأثر حياتهم بتلك القرارات الممتدة، فيجب أن يشارك في الإجراءات التي تقود القرارات.

- ومن المهم أن يدرك المُربُّون، القادة، المواطنون، أن التنمية المستدامة مفهوم للتطور وأن قائمة الرؤى الجديدة حول التنمية المستدامة يمكن أن تنمو وتتغير.

وفي ضوء كل ذلك نعتقد أن النظرة الكلية الشاملة هي الأكثر فعَّاليةً للتعامل مع التنمية المستدامة؛ لذلك فإن على الأطراف المعنية بالتنشئة العربية وضع كل ذلك في الاعتبار حينما تخطط لعمليات التنشئة التي تهدف في مؤسسات رياض الأطفال لإكساب الأطفال مهارات القرن الحادي والعشرين، والتي تُمكِّنهم من الإسهام في عملية التنمية المستدامة.

ولقد أخذت العديد من دول العالم ومنها بلدان وطننا العربي منهج التنمية المستدامة، ولقد طرحت مصر رؤية 2030 في هذا الإطار، وجاء في محور التعليم والتدريب – الرؤية: تستهدف الرؤية الاستراتيـجـية للتعليم في عام 2030 إتاحة التعليم والتدريب للجميع بجودة عالية دون التميُّز وفي إطار نظام مؤسسي وكفء وعادل ومستدام ومرن، وأن يكون مرتكزًا على المُتعلِّم والمُتدرِّب القادر على التفكير والتمكين فنيًا وتقنيًا وتكنولوجيـا. وأن يُسهم أيضًا في بناء الشخصية المتكاملة وإطلاق إمكاناتها إلى أقصى مدى، لمواطن معتز بذاته ومستنير ومبدع ومسئول وقابل للتعددية، يحترم الاختلاف وفَخُور بتاريخ بلاده وشَغُوف ببناء مستقبلها وقادر على التعامل تنافسيًا مع الكيانات الإقليمية والعالمية. ولقد هدفت تلك الرؤية إلى تحقيق الأهداف الاستراتيـجـية للتعليم، وهي: **تحسين جودة نظام التعليم بما يتوافق مع النُّظم العالمية، وإتاحة التعليم للجميع دون تميز، وتحسين تنافسية نُظم ومُخرَجات التعلُّم.**

أما فيما يتعلق بمحور المعرفة والابتكار والبحث العلمي – الرؤية:

يكون المجتمع المصري بحلول عام 2030 مجتمعًا مبدعًا مبتكرًا ومُنتِجًا للعلوم والتكنولوجيـا والمعارف، ويتميز بوجود نظام متكامل ليضمن القيمة التنموية للابتكار بالأهداف والتحديات الوطنية.

تلك هي الرؤية، أما الأهداف الاستراتيـجـية فهي: تهيئة بيئة مُحفِّزة لتوطين وإنتاج المعرفة، وتفعيل وتطوير نظام وطني متكامل للابتكار، وربط تطبيقات المعرفة ومُخرَجات الابتكار بالأولويات.

هذه هي رؤية وأهداف التنمية المستدامة لمصر حتى عام 2030، وهي تضع الابتكار والمعرفة على رأس أولوياتها، من هنا فإن دور مؤسسات رعاية الطفولة ورياض الأطفال والتعليم قبل المدرسي كبير ومهم في تمكين الأطفال من قدرات الابتكار والإبداع والمعرفة.

ويتضح لنا أن أولويات التنمية المستدامة على الصعيد الوطني والإقليمي والعالمي، تضع الابتكار والمعرفة أدواتِ التقدم في عصر التكنولوجيا والثورة الصناعية الرابعة، عصر الروبوت والذكاء الاصطناعي الذي سوف يضع الإنسان في موقفٍ لا يُحسد عليه أمام الآله والتقدم العلمي، إذا لم يستطع من الآن الاستعداد والتمكُّن من أدوات العصر.

ثالـثًا: مهارات القرن الحادي والعشرين:

لقد طغت تداعيات الثورة المعرفية والتكنولوجية في القرن الحادي والعشرين؛ مما غيَّر وبدَّل أُطُر التعليم والتعلُّم، كما فرض الذكاء الاصطناعي متطلباتٍ في عملية التعليم والتعلُّم وبدَّل العديد من المفاهيم والنظريات المتعلقة بالمتعلِّم عامةً والطفل خاصةً؛ مما يستلزم الأمر منَّا بضرورة الوعي بأُطُر التعليم والتعلُّم والذكاء الاصطناعي في القرن الحادي والعشرين، كما هو واضح في الشكلين التاليين.

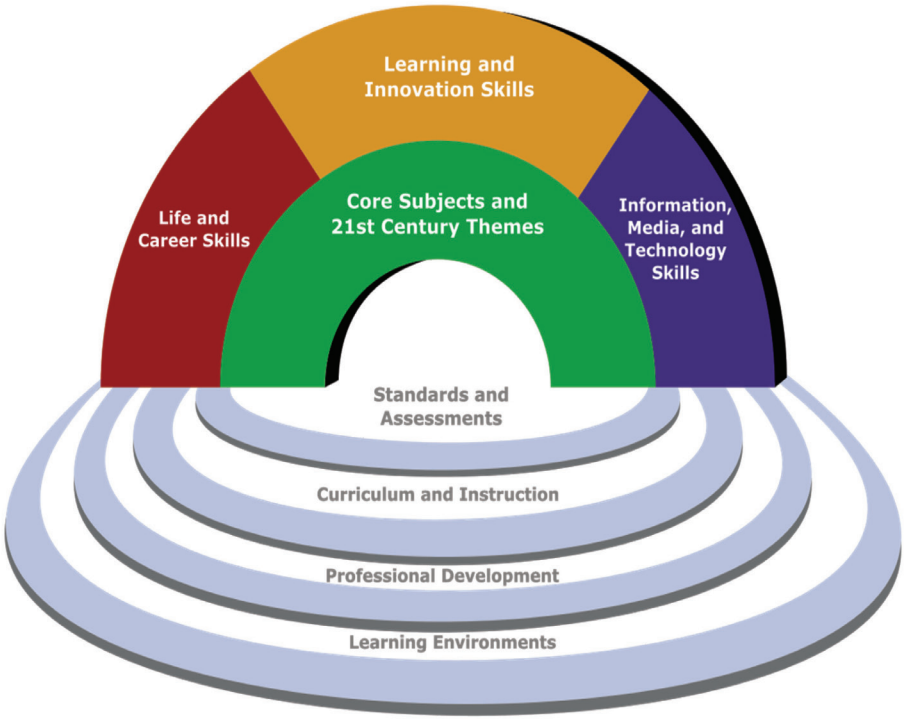

يبدأ الطفل رحلته في الحياة بإمكاناتٍ رائعةٍ وعقليةٍ خلاقة تواجه العالم الجديد، بحب الاستطلاع والكثير من الأسئلة والرغبة في التعلُّم عن كل ما يدور في عالمه من خلال اللعب. وغالبًا ما تتم إزاحة هذه الحالة العقلية من خلال اتباع أساليب التعليم التقليدية عند الالتحاق بالمدرسة. وتؤكد إحدى الدراسات أن 98٪ من أطفال مرحلة الحضانة لديهم قدرات إبداعية تتناقص بشكل مُطَّرد خلال مراحل التعليم التقليدي، لتصل إلى 3٪ فقط عند بلوغهم سن الخامسة والعشرين. وتشير الدراسة ذاتها إلى تناقص القدرة الإبداعية حتى في الفترة من الحضانة إلى الثالثة الابتدائية.

وقد أشار تقرير "**المنتدى الاقتصادي العالمي**" الذي صدر بعنوان: "إعداد البشر لمستقبل العمل"، إلى أن كثيرًا من أنظمة التعليم الحالية منفصلة عن المهارات المطلوبة لسوق العمل الحديثة. ويُبرز التقرير حقيقة أن المدارس تركِّز على تنمية المهارات المعرفية للأطفال – وهي المهارات المتعلقة بالموضوعات التقليدية – بدلًا من تنمية المهارات مثل حلول المشكلات والإبداع والتعاون، وهو ما يدعو للقلق بالنظر إلى مُتطلَّبات الثورة الصناعية الرابعة، حيث تبرز أهمية إيجاد الحلول للمسائل المُركَّبة والتفكير النقدي والقدرة على الإبداع، كأهم ثلاث مهارات مطلوبة للطفل للتعايش في المستقبل.

1- **أهم عشر مهارات في عام** 2015

1. حل المشكلات المُركَّبة Complex Problem Solving
2. التعاون مع الآخرين Coordination With Others
3. إدارة البشر People Management
4. التفكير النقدي Critical Thinking
5. التفاوُض Negotiation
6. مراقبة الجودة Quality Control
7. التوجُّه للخدمة Service Orientation
8. الحكم وصناعة القرارات Judgment and Decision Making
9. الاستماع النَّشِط Active Listening
10. الإبداع Creativity

2. **أهم عشر مهارات في عام** 2020

1. حل المشكلات المركبة Complex Problem Solving
2. التفكير النقدي Critical Thinking
3. الإبداع Creativity
4. إدارة البشر People Management
5. التعاون مع الآخرين Coordination With Others
6. الذكاء العاطفي Emotional Intelligence
7. الحكم وصناعة القرارات Judgment and Decision Making
8. التوجه للخدمة Service Orientation
9. التفاوض Negotiation
01. المرونة المعرفية [٨] Cognitive Flexibility

وتجدر الإشارة هنا إلى قفز مهارة الإبداع من المركز العاشر إلى المركز الثالث خلال السنوات الخمس الأخيرة، مع ظهور مهارات جديدة مثل الذكاء العاطفي والمرونة المعرفية في قائمة المهارات المستقبلية. مما يدفعنا إلى إعادة النظر في برامج مؤسسات رياض الأطفال بصورة شاملة؛ لكي تصبح قادرة على تمكين الطفل العربي لمهارات القرن الحادي والعشرين.

ولكي نتعرف على تلك المهارات العشر للقرن الحادي والعشرين بالتفصيل نوضح ذلك فيما يلي، علمًا بأن هناك دراساتٍ وبحوثًا أخرى دولية تتحدث عن مهارات القرن الحادي والعشرين باعتبارها اثنتي عشرة مهارة، ولكن كلها تدور حول المهارات العشر السابقة التي جاءت في تقرير "**المنتدى الاقتصادي العالمي**".

١) **حل المشكلات المركبة** Complex Problem Solving:

إن التعامل مع المشكلات الحياتية، ولا سيما المركبة والمعقدة منها قضية تواجه الإنسان عامة والطفل على وجه الخصوص، فمشكلاتنا اليومية نتعامل معها كُلٌّ بخبرته وتجاربه السابقة، دون إعمالٍ للعقل والمنطق، من هنا فإن التعامل مع المشكلات المركبة وحلها يتطلب منَّا إكساب الأطفال المهارة والقدرة على إعمال العقل، بدراسة تلك المشكلات من جوانبها كافةً وفرض الحلول والبدائل التي يمكن أن تكون حَلًا لها.

فالمشكلات المركبة التي يعيشها الإنسان – الطفل تُعد مشكلات يومية وفي حاجة إلى حلول لها، في إطار من التفكير العقلاني والقدرة على رؤية البدائل التي يمكن أن نتعامل بها في حل تلك المشكلات، وتلك المهارة والقدرة لو تم إكسابها لأطفالنا في الصِّغر في مرحلة رياض الأطفال تُكوِّن وتُشكِّل لديه مهاراتٍ كبيرة في حل المشكلات المركبة، فالأطفال في تلك السن يكون لديهم القدرة على التعلم الذاتي القائم على التفكير الموضوعي. وهنا تلعب الأسرة مع مؤسسات رياض الأطفال الدور الأكبر لإكساب الأطفال تلك المهارة من خلال الأنشطة اليومية التي يمارسها الطفل في مؤسسات رياض الأطفال أو المدرسة، في تعاظُم تلك المهارات لدى الطفل.

٢) **التفكير النقدي** Critical Thinking:

لا شك أن التفكير النقدي كعملية تعتمد أساسًا على العقل والعقلانية، وهي التي تتيح للإنسان – الطفل أن يتأمل ويفكر بطريقة عملية منهجية، قائمة على الأدلة والبراهين وكشف التناقضات وتحليل السياقات في إطارٍ من المرجعية الفكرية التي يستند إليها الإنسان، فهو التفكير الذي يساعد الإنسان على بناء أو تكوين تصور ما بناءً على إعمال العقل في كل الأدلة والشواهد التي يتكامل منها؛ ولذلك فإنه تفكير يُعين الإنسان على أن يكون لديه وجهة نظر علمية ومنطقيه قائمة على أُطُر معرفية. وهو تفكير يبعدنا عن أنوا ع التفكير الأخرى التي تؤدي إلى بناء

وتكوُّن الشخصية السطحية في نظرتها إلى الأمور والحياة والتعامل مع الآخرين(9).

وتلك القدرة والمهارة تستطيع مؤسسات رياض الأطفال العربية أن تُكسبها وتنميها لدى الطفل العربي بالتعاون مع الأسرة، من خلال الأنشطة واللعب وكل ما يساعد على حرية التعبير وتحرير طاقاته الكامنة بداخله وتحرير كل الإمكانات العقلية والذهنية والفكرية للطفل العربي؛ لذلك انتقلت تلك المهارة من المستوى الرابع لعام 2015 إلى المستوى الثاني لعام 2020؛ مما يعزز أهمية وضرورة تلك المهارة في حياة الطفل العربي.

٣) **الإبداع** Creativity:

للإبداع مفاهيم ومعانٍ عديدة سواء في مجال الدراسات النفسية أو الاجتماعية والفلسفية، أو الفنية والأدبية، ففي مجال الفنون والآداب (القصة، الرواية، المسرحية، الشعر، النحت، التصوير، الرسم... إلخ) ينصرف الإبداع إلى الخَلْق وطرح الرؤى الجديدة، وذلك من خلال الأدوات الفنية والأدبية التي تعبِّر عن الإنسان وأحلامه، وفي مجال الدراسات النفسية ينصرف الإبداع بمعنى الابتكار تلك القدرة أو الموهبة – التي يعتقد غالبية علماء النفس أنها فطرية في الإنسان – تعين الطفل على صياغة أشياء مبتكرة؛ سواء تعلق ذلك بعالم الأطفال أو بعالم الكبار ويقدمون برامج تدعم الابتكار لدى الأطفال.

أما في مجال العلوم الفلسفية والاجتماعية، فالإبداع له معنى آخر، وسوف ننطلق هنا من تعريف مراد وهبه للإبداع، وهو: إعمال العقل لإدراك علاقات جديدة؛ من أجل تغيير الواقع. إذن الإبداع هناك ينصبُّ على إدراك علاقات لم تكن قائمة، وإدراك تلك العلاقات الجديدة بين الأشياء والقضايا تقودنا بالضرورة إلى تغيير الواقع المَعِيش؛ إذن الهدف والغاية من ذلك التعريف هو السعي نحو التغيير في أفق المستقبل، أي الانتقال من الوضع القائم إلى الوضع القادم[10].

وإذا كان الإبداع في مهارات عام 2015 قد احتلَّ المرتبة العاشرة، فإنه في مهارات عام 2020 قد قفز إلى المرتبة الثالثة؛ مما يعني بالضرورة أهمية الإبداع كمهارةٍ في حياة الإنسان والطفل معًا، وذلك يؤكد أن المستقبل في ظل تداعيات الثورة الصناعية الرابعة يتطلب للعيش معها وفيها مهارة الإبداع، وذلك من شأنه أن يلقي العبء على المؤسسات التعليمية جُلِّها؛ وعلى الأخص منها رياض الأطفال تلك المؤسسة التي يُناط بها تشكيل وعي الطفل وإكسابه المهارات الحياتية التي تُعينه على الانطلاق في الأفق الواسع في مستقبل حياته، ونؤكد هنا أيضًا أن الأسرة تلعب

دورًا جوهريًا لا يقلُّ عن دور مؤسسات رياض الأطفال والطفولة المبكرة؛ لأن السياق الاجتماعي والثقافي الذي يعيش فيه الطفل عامل أساسي وجوهري في إكساب الطفل تلك المهارات، حيث يتوقف على هذا السياق إمكانية إكساب الأطفال المهارة من عدمه.

٤) **إدارة البشر** People Management:

لا شك أن إدارة البشر في تعاملهم مع بعضهم البعض في المؤسسات المختلفة يُعدُّ من أصعب وأعقد الأمور، فأنت هنا تدير بَشَرًا، كياناتٍ بشرية مستقلة، لكُلٍّ رأيُ وموقفُ واتجاه وعقيدة وأيديولوچيا وقناعات، فكيف لك أن تديرهم وهم في الأصل والأساس مختلفون ومتباينون بشكلٍ واضحٍ وجَليّ، والحديث هنا حول البشر سواء أكانوا كبارًا أم صغارًا، فلكل مرحلة خصوصيتها وتداعياتها التي ربما تُعقِّد الأمور ولا تساعد على حلها.

فمهارة إدارة البشر جاءت في المرتبة الرابعة من مهارات القرن الحادي والعشرين، وتُعد مهارة حيوية وضرورية للعيش المشترك والتعاون والتفاوض من خلال سيادة التفكير النقدي والعقلي وسيادة مبدأ الجدارة والاستحقاق وتكافؤ الفرص والمساواة، ولا يمكن لكائنٍ من كان أن يدير البشر في غياب الديمقراطية وحقوق الإنسان، سواء أكانت تلك الإدارة على المستوى الأُسَري أم المدرسة أم المجتمع الكبير، ونحن نعتقد أن الحوار يُعد وسيلة فعالة وإنسانية لتحقيق إدارة عادلة للبشر؛ لأن الهدف النهائي هو كيف نعيش معًا وفق قواعد ونُظُم عادلة معبرة عن قناعات البشر أنفسهم ويشكل الحوار أحد معالم الحياة الإنسانية، فالحوار والتعايش هو الذي يبني في الطفل العربي القدرة على التعامل مع الذات والآخرين دون إقصاء أو استبعاد، وهناك حوار إيجابي يقوم على الأخذ والرد بحيث يسأل طرف ليستفيد من خبرات ومعارف الطرف الآخر؛ ومن ثَمَّ يُبدي رأيه في معرفة جوانب الموضوع، وهو حوار هادئ وهادف يؤدي إلى الاتفاق أو الاختلاف في النهاية، مع الاحتفاظ بالتواصل والإبقاء على لغة التفاهم متجددة، أضف إلى ذلك أن مهمة الحوار الإيجابي هي الكشف عن الحقيقة. وتحقيق الفائدة لطرفَي الحوار ومستوى الحوار هنا أفقي بين متكافئين ليس بينهما أية فروق، أو قُلْ إن الفروق موجودة ولكنهما يلغيانها.

أما الحوار السلبي فهو الحوار الذي يكون فيه الطرف الأول هو المُسيطِر والمتحكم والمقاطع دائمًا للطرف الآخر، دون أن يعطيَه فرصة أن يسأل أو يناقش أو يعترض، ولغة الحوار هنا هي الإكراه لا التفاهم. ومن هنا فإن الحوار السلبي هو نوع من صراع الديكة ينتهي غالبًا بتحقيق

(انتصار خاسر) لأن المنتصر سيفرح بالفوز، ولكنه سيخسر احترام الطرف الآخر ومستوى الحوار هنا "رأسي" وفوقي يتأسس على شعورِ طرفٍ ما بالتعالي على الطرف الآخر؛ ومن ثَمَّ يوظف هذا الشعور في تأكيد سلطته وهيمنته[11].

ونحن هنا نقصد في مجالنا هذا الحوار الإيجابي والذي يتضمن قواعد وأُسسًا وقدرة عليه، فإن للحوار أيضًا أخلاقيات لا يمكن أن يتم الحوار من دونها، ومن أبرزها [12]:

- احترام التعددية الثقافية لأبناء الوطن الواحد والإقرار بأن التنوُّع الإنساني مصدر إثراء للوجود البشري والثقافة الإنسانية.
- تجنب الأفكار المُسبَّقة والسعي لمعرفة الآخر كما يقدم لنفسه.
- الاحتكام إلى العقلانية مبدأً للحوار وتغليب الأسلوب العلمي على العاطفي والانفعالي وممارسة النقد الذاتي.
- الحرص على البحث عن الوجوه الإيجابية في الثقافة الوطنية وإبرازها، وتنمية روح النقد الذاتي لتلافي السلبيات المتوارثة في النظرة المضخمة للذات أو ازدراء الآخر، وصياغة صورة الآنا والآخر في إطارٍ من الفهم المُعمَّق والمُتبادَل، وتعزيز الرغبة المشتركة في الدفاع عن القيم الإنسانية التي تضمن التفاعل الإيجابي الخلاق مع المُواطَنة وقيَمها العليا.

وتلك المهارة على الحوار – هي من متطلبات القرن الحادي والعشرين، وتستطيع مؤسسات رياض الأطفال العربية تكريس وتعظيم ثقافة الحوار وتمكين الطفل العربي من القدرة على الحوار الإيجابي؛ حتى نحقق إدارة فاعلة للبشر تنهض بالمجتمع والأفراد نحو بناء عالم عادل وحُرّ..

٥) التعاون مع الآخرين Coordination with Others:

إن مهارات القرن الحادي والعشرين في تغيُّر دائم وتحوُّل نتيجة للتغيرات العلمية والتكنولوجية التي يتسم بها هذا القرن، فلقد تغيرت من عام 2015 إلى عام 2020، ولا شك أنها ستتغير ربما بسرعة أكبر، وذلك يعني – ضمن ما يعني – أن هناك ثوابت في المهارات الأساسية ومتغيراتٍ في المهارات الأخرى، بالصعود والهبوط على سلم المهارات التي يتسم بها القرن الحادي والعشرون.

فمهارة التعاون مع الآخرين كانت في المرتبة الثانية عام 2015، أصبحت في المرتبة الخامسة في مهارات عام 2020، ولا أحد يدري هل ستهبط أم ترتفع في السنوات القادمة، وهذه المهارة

تنصرف بشكلٍ رئيسٍ حول التعاون، فلا أحد يعيش بمفرده في العالم، ولكننا نعيش مع الآخرين في الأسرة والمدرسة والجامعة والمجتمع الكبير، وطبيعة هذا العيش هو التعاون، ولا يمكن أن يتحقق التعاون دون التفاوض لأننا مختلفون ومتباينون، وكُلٌّ منَّا له عالمه الخاص ومنظاره الخاص للحياة والعالم.

إذن، لكي نتعاون علينا أولًا أن نملك القدرة والمهارة على التفاوض والتعايش والحوار الإنساني الإيجابي، فلا تعاون بلا تفاوض حتى نصل إلى حل أو موقف يعبر – بدرجةٍ أو بأخرى – عن قناعاتنا ورضانا عن أن نتعاون، ونعي وندرك أن التعاون هو الحياة الصحية والسليمة في عالمنا المعاصر مع الآخرين.

والعيش المشترك مهارة وقدرة يستطيع بها الطفل أن يعيش مع الآخرين وبالآخرين، تتطلب معارف ومهاراتٍ أساسية وقيمًا نبيلة كالتسامح وعدم التميُّز بسبب اللون أو الجنس أو المكانة الاجتماعية أو الثقافية والتعليمية، وأن البشر متساوون جميعًا ولهم الحق في الحياة وتطويرها بما يحقق لهم الغايات والأهداف التي يسعون إليها. وهذه الأهداف مُتضمَّنة في أهداف التنمية المستدامة؛ الهدف الخامس والعاشر والسادس عشر بشكل مباشر.

ولا شك أن تلك المهارة التي يتحلى بها الطفل العربي لا يمكن اكتسابها فقط من المعرفة النظرية، ولكن من خلال مواقف حياتيه عملية، ومن خلال ورش عمل وتدريبات لهؤلاء المُستهدَفين من قِبل مؤسسات رياض الأطفال العربية التعامل معهم.

٦) **الذكاء العاطفي** Emotional Intelligence:

يُعرَّف الذكاء العاطفي بأنه قدرة الإنسان على التعرُّف على العواطف وإدارتها، سواء أكانت عواطف خاصة أم عواطف الأشخاص المحيطين به. إن الناس القادرين على التعامل مع الحالات الاجتماعية الأكثر حساسية والذين يُشعرون الآخرين بالراحة هم من يمتلكون ما يشير إليه علماء النفس بالذكاء العاطفي، ويشمل هذا النوع من الذكاء القدرة على فهم وإدارة العواطف، ويتفق الخبراء على أن هذا النوع يؤدي دورًا مُهمًا في النجاح، فيما رأى بعضهم أنه قد يكون أكثر أهميةً من الذكاء نفسه. كما تشير البحوث والدراسات إلى أن الذكاء العاطفي مرتبط في كل ما يتعلق بصنع القرار والتحصيل الدراسي والنجاح في الحياة بشكل عام. والذكاء العاطفي يتضمن ثلاث مهارات أساسية، هي:

1- القدرة على إدارة العواطف والتي تتضمن تشجيع الآخرين وتهدئتهم، مع القدرة على تكوين المشاعر الخاصة بالإنسان نفسه.

2- الوعي بالمشاعر.

3- قدرة الإنسان على تطبيق المشاعر الخاصة به في المَهمَّات، سواء أكانت تلك المهمات مختصة بحل المشكلات أم بطريقة التفكير، فعالم النفس "دانيال جولمان "Daniel Goleman يؤكد أن للذكاء العاطفي خمسة مُكوِّنات أساسية، هي[13]:

- **الوعي الذاتي أو القدرة على إدراك وفهم العواطف الخاصة**: وهو جزء مهم من الذكاء العاطفي، إنه أبعد من مجرد الاعتراف بعواطفك ورصيدها وإدراكها، بل أن تكون على بَيِّنة من تأثيرها على قراراتك ومزاجك وعواطف الآخرين أيضًا، هؤلاء الأفراد هم الأكثر قدرةً على إدراك نقاط القوة الخاصة بهم. ويشير "دانيال جولمان" إلى أن الناس الذين لديهم هذا الوعي لديهم حس جيد من الفكاهة واثقون بأنفسهم وقدراتهم، ويدركون كيفية إدراك الآخرين لهم.
- **التحكم الذاتي**: إضافة إلى كونك على بَيِّنة من مشاعرك وتأثيرها على الآخرين، يتطلب الذكاء العاطفي أن تكون قادرًا على تنظيم هذه العواطف وإداراتها. هذا لا يعني إخفاء مشاعرك الحقيقية، بل ببساطة انتظار الزمان والمكان المناسبين، ووسيلة التعبير الفُضلَى عنها، أولئك الأفراد مرنون ويتكيفون جيدًا مع رياح التغيير، كما أنهم جيدون في إدارة الصراع ونزع فتيل حالات التوتر.
- **المهارات الاجتماعية**: أن تكون قادرًا على التفاعل بشكلٍ جيدٍ مع الآخرين هو جانب مهم آخر من الذكاء العاطفي، الفهم العاطفي الحقيقي ينطوي على أكثر من مجرد فهم مشاعرك الخاصة ومشاعر الآخرين، بل يحتاج أيضًا إلى أن تكون قادرًا على وضع هذه المعلومات للتعامل مع التفاعلات اليومية والتواصُل في الحياة المهنية. تساعد هذه المهارة على تحسين العلاقة مع الموظفين والمديرين، وتشمل بعض المهارات الاجتماعية المهمة، مثل الإصغاء الهادف، ومهارات التواصل: اللفظي وغير اللفظي والقيادة والإقناع.
- **التعاطف**: أو القدرة على فهم كيف يشعر الآخرون في غاية الأهمية للذكاء العاطفي، ولكن هذا يتطلب أن تكون قادرًا على التعرُّف على حالات الآخرين العاطفية وكذلك ردود أفعالهم عند الشعور بأن شخصًا ما حزين أو يائس مثلًا، فعليك أن تكون متعاونًا معه

وأن تعامله بحذر وأن تبذل جهدًا لرفع معنوياته.

- **التحفيز**: الدوافع الذاتية تضطلع بدورٍ رئيسٍ في الذكاء العاطفي. هذه الدوافع أهم من المكافآت الخارجية مثل الشهرة والمال، بدلًا من ذلك، يكون لدى أولئك الأشخاص شغفٌ لتلبية حاجاتهم الداخلية الخاصة وأهدافهم، يعملون على مراكمة الخبرات ومتابعة النشاط وتكثيف التجارب، يضعون الأهداف ويكون لديهم حاجة قوية لإنجازها ويبحثون دومًا عن الطرق الفُضلَى لتنفيذها بما يتوافق مع تحقيق ذاتهم.

٧) **الحكم وصناعة القرارات** Judgment and Decision Making:

في ظل التعقيدات التي نعيشها في الألفية الثالثة، بكل تداعياتها العلمية والمعرفية والتكنولوجية، تعدُّ عملية الحكم وصناعة القرارات من الأمور الصعبة والمعقدة لما لها من آثار وتداعيات على حياة البشر، فالحكم على الأشياء لم يعُد مسألة سهلة وفردية، بل أصبح مرتبطًا بكَمٍّ كبيرٍ من المعلومات والمعارف والآراء والتوجهات التي تحيط بالحكم على الأشياء؛ وكذلك فإن الحكم على الأشياء عملية تالية لصناعة القرار، فصناعة القرارات تخضع للعديد من الخطوات، أهمها:

- التعرف على المشكلة وتحديدها بدقة وتحليلها من خلال جمع البيانات المرتبطة بها كافة.
- جمع البيانات والمعلومات والمواقف المشابهة وتحليلها بكل دقة وفق النُّظم الحديثة لتحليل البيانات.
- وضع معايير للحكم يتم تقويم البدائل المطروحة في ضوئها؛ حتى لا يكون إصدار الحكم شخصيًا أو مرتبطًا بالعواطف.
- البحث عن بدائل لحل المشكلة قبل الحكم وصناعة القرار، فكل مشكلة إنسانية أو عملية في حاجة إلى التعرُّف على البدائل، ويتم الاختيار في ضوء الأهداف التي يسعى إليها الحكم.

إن عملية اتخاذ القرار هي مرحلة من مراحل صنع القرار، ويتضمن تقييم البدائل ومقارنتها ببعضها وكذلك اختيار البديل الأفضل؛ إذن صناعة القرار عملية شاملة تتضمن اتخاذ القرار.

فاتخاذ القرار هو إصدار حكم معين لما يجب أن يفعله الفرد في موقف معين، وذلك بعد الفحص الدقيق للبدائل المختلفة التي يمكن اختيار بديل منها. أما صنع القرار فهو عملية ديناميكية تتضمن مراحل تفاعلات متعددة تبدأ من مرحلة التقييم وتنتهي بمرحلة اتخاذ القرار؛

وعلى هذا فإن مفهوم صنع القرار لا يعني البَتَّة اتخاذه فحسب، بل هو عملية لها مراحل متعددة ومتطورة وديناميكية، وتتوقف على حسب طبيعة المشكلة والسياق الذي توجد فيه وطبيعة الأفراد المَنُوط بهم حل المشكلة؛ وكذا المستفيدين من حل تلك المشكلة.

هذا فضلًا عن أن عملية صنع القرار تحدث خلال فترة زمنية معينة؛ إذ تبحث في كيفية بناء القرار وصنعه وكيفية الوصول إليه، وتشمل جمع المعلومات وخلق الخيارات ومناقشة الإجراءات المحتملة وتأثيراتها، وذلك يتطلب المشاركة الفعالة من أطراف المشكلة كافةً؛ سواء صانعي القرار والمنفذين أم أصحاب المصلحة في صناعة القرار والحكم باتخاذ القرار.

وتلك المشاركة لا يمكن أن تتم إلا في سياق ديمقراطي حُرّ، يعطي للبشر حرية التعبير عن الرأي بحرية، حيث تتم مناقشة القرار في عملية الصناعة ذاتها إلى مرحلة التنفيذ، ولا يمكن أن يتم حوار بنَّاء وإيجابي في غياب من الديمقراطية التي تتم وتسمح للأفراد بإبداء الرأي الحُر في القضايا والمشكلات التي نتعرض لها ونحاول أن نسعى إلى الحكم عليها من خلال صناعة علمية للقرار.

والسؤال الذي يطرح نفسه علينا هنا هو: كيف نُكسِب أطفالنا القدرة والمهارة على الحكم وصناعة القرارات وهم ما زالوا دون سن العاشرة مثلًا أو أقل من ذلك؟

لا شك أن المؤسسات التعليمية وعلى رأسها رياض الأطفال قادرة، من خلال الأنشطة والممارسات التربوية التي تتيح لأطفالنا حرية الفعل وحرية الرأي والمشاركة الفعالة، دون قهر أو تسلُّط من قِبل المعلمة، أن تتيح لأطفالنا حرية الحركة والنقاش من خلال بعض القضايا اليومية التي يعيشونها. هذا فضلًا عن مواصلة هذا الدور الذي يعيش فيه الطفل أو اليافع وحتى الشباب. الحوار والنقاش وطرح البدائل والتعامل مع أطفالنا بوصفهم ذوات وكياناتهم إنسانية مستقلة وليست في حاجة إلى وصاية أو تسلُّط من قِبل أحد.

وهنا ومن خلال ما سبق يكون القرار النهائي أفضل من خلال الحوار والنقاش ووجود خيارات أكثر، رغم أن هذا في البداية يجعل القرار يبدو أكثر صعوبة، فإنه بالمقابل يجبر الشخص على التعمُّق أكثر والاطلاع على المشكلة من عدة زوايا، ويمكن الوصول إلى خيارات متعددة من خلال استخدام الحوار والتفكير النقدي والإبداعي الذي يدفع للوصول إلى حلول وأفكار مبتكرة وجديدة، ومن أكثر الأساليب شيوعًا في هذا الأمر **أسلوب العَصْف الذهني**؛ إذ يتم الوصول إلى مجموعة من الأشخاص وسماع أفكار كل منهم وإعطاء أفكارهم القيمة المستحقة ذاتها بصرف

النظر عن مَرْتبة أو موقع كل شخص داخل الفريق، كما يمكن من خلال ذلك تفصيل الحوار والنقاش البنّاء، في إطار من الموضوعية وإعمال العقل والتفكير النقدي في الحكم واتخاذ القرار المُحقِّق للصالح العام للجماعة أو المجتمع.

٨) **التوجه للخدمة** Service Orientation:

لقد فجّرت الثورة الصناعية الرابعة التي تعتمد على التكنولوچيا الذكية وتمتاز بدرجة كبيرة في تعقُّدها واتساع نطاقها وتأثيرها على الثورات السابقة، بما أدى إلى التحول عالم مختلف إلى حدٍّ كبير؛ إذ تمثل الثورة الصناعية الرابعة عصر تلاقي أو تناغم الابتكار والإبداع، من خلال مجموعة متكاملة من تكنولوچيا المعلومات والاتصالات الذكية، مثل إنترنت الأشياء، والحَوْسبة السحابية، وتحليل البيانات الكبيرة والذكاء الاصطناعي وسلسلة الكتل. كل هذه التحولات أثرت وستؤثر على نمط حياتنا وتفكيرنا حول أنفسنا والعالم.

إذن عملية التوجيه للخدمة بوصفها عملية تطوُّعية تقوم على مهارات عدة تتأسس على المُواطنة والمشاركة الفعالة في بناء وتطوير المجتمع الديمقراطي، عملية التوجيه للخدمة لم تعُد عملية خدمية، ولكنها أصبحت عملية أساسية في حياة الإنسان المعاصر، فالتوجه للخدمة في عالمنا يتجاوز المفهوم الخدمي الإحساني، ويتجاوز ذلك إلى تعظيم قدرات ومهارات الإنسان في خدمة الوطن بما يحقق السعادة والرخاء للجميع، دون إقصاء أو تحيُّز بسبب اللون أو الجنس أو العقيدة، أو الوضع الاجتماعي والاقتصادي، الجميع هنا يعيش في ظل مجتمع المُواطَنة والمُوَاطنيَّة.

وهنا تلعب مؤسسات التعليم العربي وعلى رأسها مؤسسات تعليم الطفولة المبكرة، دورًا مهمًا ومحوريًا في إكساب أطفالنا قيم العمل الجماعي والطوعي والإحساس بالآخرين والتعاون والعمل معهم؛ لأنه في سياق الثورة الصناعية الرابعة بتداعياتها لم يعُد الإنسان يعيش وحيدًا أو منفردًا عن عالمه ومحيطه، فمهارات التوجيه للخدمة مهارة معاصرة وحديثة نتجت بتأثير التطورات العلمية والتكنولوچية التي نعيش في كنفها.

وحين نتحدث عن الأطفال لا يجب أن نلقي العبء كله على رياض الأطفال والمؤسسات التعليمية، لكن الأسرة تُعد شريكًا أساسيًا وجوهريًا لأن الطفل فيها ومعها يقضي غالبية الوقت من يومه، وربما تلك المسئولية التي تضطلع بها الأسرة العربية تتطلب منَّا التذكير بأهمية وضرورة

"التربية الوالدية"، لأنه لا يعوَّل على الأسرة في غياب وفقدان "التربية الوالدية" التي تدمج الأسرة مع المدرسة في عملية التنشئة وتكوين الأطفال وإكسابهم مهارات القرن الحادي والعشرين.

9) **التفاوض** [14] Negotiation:

التفاوض هو عملية يمكن من خلالها حل النزاعات أو تسوية المعاملات بمختلف أنواعها، أو إنشاء اتفاقيات بين الأفراد والجماعات. ويتم اعتباره نوعًا من النقاش والحوار البنَّاء الذي يتم بطريقة استراتيـچـية لحل المشكلة بشكل مقبول للطرفين، إذ إن كل طرف يعمل على إقنا ع الطرف الآخر بالموافقة على وجهة نظره، وتكون هذه النقاشات بين أفراد لديهم أهداف مختلفة يحاولون من خلالها التوصل إلى اتفاق خاصةً في مجال الأعمال أو السياسة.

ومن الجدير بالذكر أنه يجب أن تتوافر مع التفاوض مجموعةٌ من المهارات المهمة في جميع تفاعلات الحياة اليومية سواء أكانت رسمية أم غير رسمية، مثل شروط البيع وإيصال الخدمات والعقود القانونية وغيرها، ويتطلب التفاوض الأخذ والعطاء والذي يجب أن يهدف إلى إيجاد تفاعل مهذب يؤدي إلى إرضاء الطرفين.

وللتفاوض أهمية كبيرة في حياتنا اليومية والعملية حيث يؤدي التفاوض إلى نجاح الأعمال المراد إنجازها والتي نتعرض لها يوميًا، فالتفاوض الفعال مهم وضروري لأنه:

- يبني علاقات جيدة بين الأشخاص.
- يقدم حلولًا دائمة وطويلة الأجَل تلبي احتياجات ومطالب الأفراد.
- يؤدي إلى تجنُّب المشاكل والصراعات بين الأفراد ويقلِّل من التوترات التي تحدث نتيجة الحياة اليومية ومشكلاتها المركبة والمعقدة.

وللتفاوض الفعَّال مراحل وخطوات لا بُدَّ أن يمر بها ومن خلالها لكي تنجح عملية التفاوض بين الأفراد والجماعات، وهذه المراحل تتم بطريقة منظمة من أجل تحقيق نتائج مرغوبة ومحققة لأهدافها، وهذه المراحل هي:

- مرحلة التجهيز.
- مرحلة النِّقاش والحوار البنَّاء.
- مرحلة توضيح الأهداف.
- مرحلة التفاوض للوصول إلى نتيجة مُرضية للطرفين.

- مرحلة التوصل إلى اتفاقية تحقق الأهداف وتُرضي جميع الأطراف في الصراع أو النزاع أو المشكلات.
- مرحلة تنفيذ العمل حسب المسار المتفق عليه بين الأطراف المعنية.

كما أن التفاوض الفعال يتضمن أنواعًا متعددة، ويمكن هنا إجمالها في نوعين أساسيين للتفاوض[15]:

- **المفاوضات التكاملية**: وفي هذا النوع من التفاوض عادةً ما يفوز الجميع بشيء معين، ونحتاج هنا إلى مهارات أكثر تطورًا من مهارات المفاوضات التجارية إذ إنها أكثر تعقيدًا، وكلمة تكاملية هنا تعني ضم عدة أجزاء إلى الكل وهنا يتم التعاون أو توحيد القوى لتحقيق هدف معين معًا.
- **مفاوضات التوزيع**: وهذه المفاوضات تعني وجود حد أو كمية معينة من الشيء، حيث يتم توزيعه وتقسيمه بين الأشخاص المَعنيِّين، وفي هذا النوع تكون النسب المراد تقسيمها محدودة ومتغيرة، إذ يواجه الطرفان هذه المشكلة للحصول على القدر الأكبر من الشيء، ويتم استخدام هذا النوع من التفاوض في الأمور اليومية والحياتية البسيطة.

هذا فضلًا عن أن عملية التفاوض لا تتم بشكل عشوائي وبصورة غير منظمة ودون مهارة أيضًا، فالتفاوض الفعال والذي يحقق أهدافه يتميز بجملة من المهارات الأساسية، هي:

- أن يكون مرنًا.
- أن يكون خلَّاقًا.
- أن يكون مُخطَّطًا جيدًا.
- أن يكون صادقًا وشفافًا.
- أن يتمتع بقدرة جيدة على التواصل الإنساني.

١٠)المرونة المعرفية Cognitive Flexibility :

ونقصد هنا بالمرونة المعرفية كيفية تعامل الناس مع معرفتهم والاستراتيجيات الممكنة للتعامل مع المهمات والقضايا والمشكلات التي تواجههم. إن السلوك البشري محكوم بالمعرفة وبالخصوص قيم المتغيرات البيئية والاجتماعية والثقافية، وهذه المعرفة مكتسبة عن طريق التعلم من المواقف المتشابهة التي تمر بخبرة الإنسان، ويمكن تعديلها تبعًا لمتطلبات الموقف المناسب مع

متطلبات المهمة المراد إنجازها. كما أن الأفراد الذين يستطيعون أن يتمثلوا معرفتهم في أكثر من منظور أو مهمة يمكن أن يكون تعاملهم مع التغير في الموقف بسهولة أكبر، وهذا يدل على أنهم أكثر مرونةً من الناحية المعرفية؛ لما يمتلكون من قدرة وسرعة على إعادة هيكلة معرفتهم وإيجاد تدابير لتغيُّرات الموقف أو المشكلة[16].

ونتيجة لذلك نجد أن الشخص المرن يجب أن يمتلك عمليات الانتباه والتمثيل المعرفي؛ ليكيف سلوكه حسب التغير الذي يمر عليه في الموقف أو المشكلة. ونظرية المرونة المعرفية كما حددها "راند سبيرو Rand Spiro" هي نظرية بنائية في عملية التعليم والتعلُّم التي تهدف إلى تصحيح المشكلات التي لها علاقة بالمعرفة المتقدمة، وتتمثل المرحلة التمهيدية في عملية التعلم في تعريض المتعلم للمحتوى من أجل ملاحظته واستعادته في اكتساب المعرفة المتقدمة؛ لذا يجب أن تكون مختلفة عن تلك الأهداف في التعليم التمهيدي.

ولنظرية المرونة المعرفية أهداف عديدة، أهمها:

- مساعدة المتعلمين على تعلُّم موضوع مهم ولكنه صعب، فكثير من الموضوعات الأساسية في المعرفة نجدها صعبة في التعليم والتعلم، وغالبًا ما يتم حفظ تلك الموضوعات دون فهم، وذلك بدلًا من الفهم العميق ذي المعنى لتلك الموضوعات.
- تعزيز الاستعمال المرن للمعرفة في التعامل مع العالم الحقيقي، فالهدف الرئيس للمرونة المعرفية هو تمكين المتعلمين من التطبيق المرن لمعرفتهم، وتمكينهم من تكييف فهمهم وخبراتهم السابقة.
- تغيير وتبديل طرائق التفكير، فالمرونة المعرفية لا تعني فقط تغيير نوعية المعارف والعلوم التي يكتسبها المتعلمون، وإنما تسعى أيضًا في الأساس إلى تغيير المعتقدات المعرفية التي يوظفها المتعلم عند اكتساب المعرفة.
- دعم بيئات التعلم بالوسائط الفائقة لتعزيز التطبيق المرن للمعرفة، إذ تهدف نظرية المرونة المعرفية إلى تصميم بيئات التعلم القائمة على الحاسوب وتقنيَّات تكنولوچيا التعليم المتطورة، وإلى تقديم منظورات متعددة وغير خطية للمادة الدراسية، وذلك لتحقيق الأهداف الثلاثة السابقة؛ لأن الطريقة المرنة من شأنها أن تقدم رسالة معرفية مرنة أيضًا.

هذا فضلًا عن أن نظرية المرونة المعرفية تستند إلى العديد من المبادئ والأسس الجوهرية [17] نوضحها في الشكل التالي:

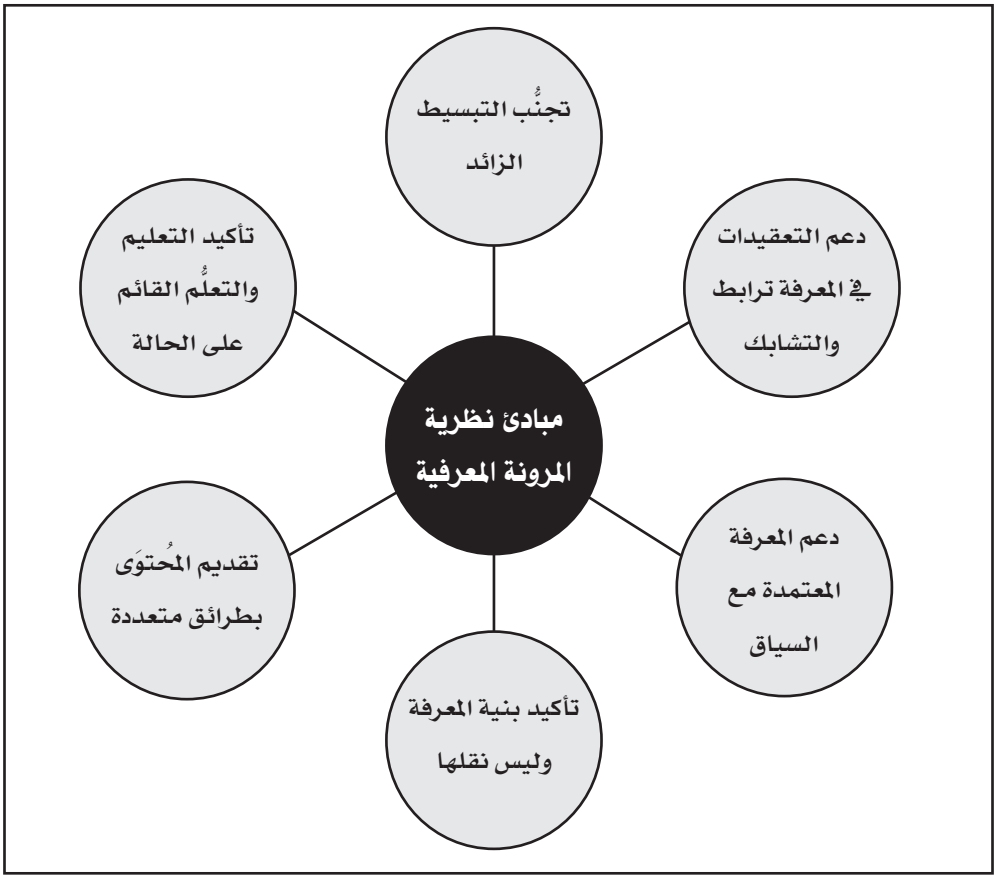

شكل يوضح مبادئ المرونة المعرفية

1. **تجنب التبسيط الزائد**، ويُقصد بهذا المبدأ تأكيد التشابك والترابط بين المفاهيم، أي أن التعلُّم القائم على المرونة المعرفية يجب أن يعكس التعقيدات التي تواجه الممارسين بدلًا من المعالجة الخَطِّية التي تواجههم.
2. **التأكيد على التعليم والتعلُّم القائم على الحالة**، ويُقصد أيضًا بهذا المبدأ ضرورة تقديم عدد متنوع من الحالات تعمل بمثابة أمثلة أو تطبيقات للمعرفة للمتعلمين، وذلك لتجنُّب المشكلات التي قد تنجم عن استعمال عدد محدود من الحالات المتشابهة.
3. **تقديم المُحتوى بطرائق عدة**، ونقصد هنا بهذا المبدأ ضرورة تقديم المحتوى بطرائق عدة وإتاحة الفرصة للمتعلمين لتقديم كل فهم لما فهمه بطريقته الخاصة؛ كذلك إتاحة الفرصة لهم لجمع حالات متوافقة وأخرى مختلفة مع ما تم تقديمه.
4. **تأكيد بنية المعرفة وليس نقلها**، ويُقصد بهذا المبدأ ضرورة مساعدة المتعلمين على بناء

المخططات المعرفية المعتمدة، التي تشمل على معارف إجرائية وواقعية حتى ينجحوا في التعامل مع الحالات المتشابهة.

5. **دعم المعرفة المعتمدة على السياق**، ويُقصد بهذا المبدأ أيضًا ضرورة تقديم المعرفة للمتعلمين من واقع حياتهم التي يعايشونها وبخبرات حقيقية يمرون بها؛ لأن المعرفة التي يتم بناؤها في الوقت الحاضر هي نتاج التفاعل والترابط بين المعلومات والنشاط الفعلي، والأدوات المستعملة والسياق الثقافي والاجتماعي؛ لذلك لا يجب أن تُقدم هذه المعرفة للمتعلمين / الأطفال بأدواتها فقط، وإنما يجب الحرص على تقديمها بسياقها الثقافي والاجتماعي الذي أنتجها.
6. **دعم التعقيد في المعرفة - الترابط والتشابك** -، أي ضرورة البعد عن إكساب المتعلمين/ الأطفال معارف متجزئة بعيدة عن سياقها، حيث يحتاج المتعلمون الأطفال إلى التعرف على التناقضات في المعرفة بتطبيقها في سياقات مختلفة وعرضها من خلال وجهات نظر مختلفة، وهذا التعقيد – التشابك والترابط – يُقدم من خلال استعمال وتوظيف طرائق ومناظير عقلية وتمثيلات مختلفة لتقديم المعرفة للمتعلمين / الأطفال.

ولا شك أن المرونة المعرفية تتطلب من مؤسسات رياض الأطفال ومؤسسات التعليم عامة، التعامل مع مبادئها لكي يستطيع أطفالنا التكيُّف مع معطيات الثورة الصناعية الرابعة، التي تلقي بتداعياتها على نُظم التعليم المعاصرة مهام جِدَّ جديدة، تحاول بناء وتكوين الشخصية الإنسانية القادرة على التعامل مع التحولات الهائلة التي نعيشها على الأصعدة كافة.

لا شك أن المهارات العشر للقرن الحادي والعشرين هي في تغير دائم؛ لذلك فإن برامج الطفولة والتعلم عامة يجب أن تتسم بالمرونة والقابلية للتغير وفق المستجدات التي تلاحقنا يومًا بعد يوم، وهنا نطرح تصورًا لتضمين مهارات القرن الحادي والعشرين في المُقرَّرات والمناهج الدراسية التي يجب ألا تعتمد على الجانب المعرفي فقط، بل تؤسَّس على الأنشطة والفاعليات التربوية التي تُعظِّم تلك المهارات لدى المعلمات والمعلمين، من خلال برامج للتنمية المهنية لكل الممارسين التربويين المعنيين بشأن الطفولة، لأنه لا جدوى من كل ذلك في حالة غياب التنمية المهنية للعاملين كافةً في مجال الطفولة، هذا فضلًا عن أن المحتوى الدراسي يجب أن يتضمن المهارات العشر بمستويات تناسب المرحلة الدراسية، بدءًا من مرحلة رياض الأطفال إلى مرحلة المدرسة والجامعة، وتلك هي الوسيلة الناجحة لإكساب طلابنا وأطفالنا مهارات القرن الحادي والعشرين.

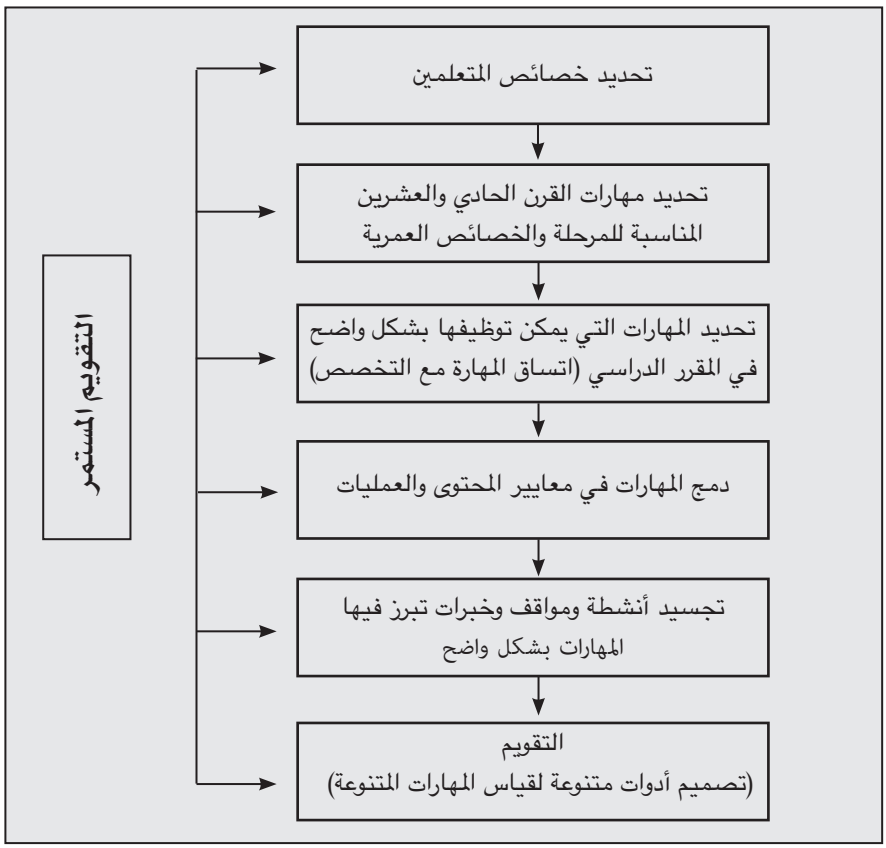

وإذا كانت معظم الدول العربية قد اتخذت الإجراءات التخطيطية في وضع خطط قومية وطنية للتنمية المستدامة وإنفاذ الأجندة حتى عام 2030، فإن تلك الخطط والرؤى المستقبلية للواقع العربي حتى 2030 يجب أن تُترجم إلى سياسات وإجراءات وأفعال على أرض الواقع العربي، وأن تُطرح للرأي العام ولمؤسسات المجتمع المدني كأجندة عمل مستقبلية يجب الانخراط فيها من خلال برامج وسياسات محددة الهدف والغاية والمؤشرات، فضلًا عن الزمن الذي يمكن إنجاز تلك المهام فيه.

المصادر والمراجع

1-"Quality Education for All: Final Repost" Paper Presented at: International Consultation Forum on Education for all, New Delhi, September, 1993 - pp. 33.

٢- شبل بدران، الاتجاهات الحديثة في تربية طفل ما قبل المدرسة، (القاهرة، الدار المصرية اللبنانية،٢٠١٩) الطبعة (١١)، ص٣٠.

٣- اليونسكو، التقرير العالمي لرصد التعليم للجميع بحلول عام ٢٠١٥ "هل سنحقق الهدف؟"، منشورات اليونسكو، ٢٠٠٨، ص٣.
٤- برنامج الأمم المتحدة الإنمائي ومؤسسة محمد بن راشد آل مكتوم، تقرير المعرفة العربي للعام ٢٠١٠-٢٠١١، إعداد الأجيال الناشئة لمجتمع المعرفة. (دولة الإمارات العربية المتحدة، ٢٠١٢)، ص ص ٢٤،٢٦.
٥- اليونسكو، التعليم للجميع ضرورة ضمان الجودة، (اليونسكو، ٢٠٠)، ص٥٧.
٦- تقرير المعرفة العربي ٢٠١٠-٢٠١١، مرجع سابق، ص٢٤.
٧- رؤية مصر ٢٠٣٠ - البعد الاجتماعي http://Sdsegypt2030.com
٨ - يسري الجمل، "الطفل والثورة التكنولوچية" في: تمكين الطفل العربي في عصر الثورة الصناعية الرابعة"، (المجلس العربي للطفولة والتنمية، ٢٠١٨) ص ص٣٦،٣٧.
شبل بدران، "مدرات إسهام في التنمية المستدامة: المحددات وآليات التنفيذ"، ورقة بحثية مقدمة إلى الشبكة العربية للمنظمات الأهلية في ورشة العمل تحت عنوان: نحو منظومة قيم مساندة التنمية المستدامة. (القاهرة، المجلس العربي للطفولة والتنمية، ٤ مايو ٢٠١٩).
٩- مراد وهبة، "فلسفة الإبداع، (القاهرة، المجلس الأعلى للثقافة، ٢٠١٧)، ص ص ٧٠ -٧٥.
١٠- شبل بدران، "مكانة المواطنة في التعليم - التربية على المواطنة في المناهج الدراسية، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، سلسلة الدراسات السياسية والاستراتيـچـية، ٢٠١٧، ص٣٥.
١١- السيد يس، "الديمقراطية وحوار الثقافات - تحليل للأزمة وتفكيك للخطاب (القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مكتبة الأسرة - سلسلة الفكر، ٢٠٠٧)، ص ص ٤٤- ٤٥.
١٢- دانييل جولمان، "الذكاء العاطفي، ترجمة: ليلى الجيالي، (الكويت، سلسلة عالم الفكر، العدد ٢٦٢، ٢٠٠٠)، ص ص ١١-١٤.
١٤- جابر عبد الحميد، "الذكاءات المتعددة والفهم: تنمية وتعميق، (القاهرة،
دار الفكر العربي، ٢٠٠٣)، ص ص ١٠-١٢.
١٥- چـيرارد إ. نيربرج، أسس التفاوض، ترجمة: حازم عبد الرحمن (القاهرة، المكتبة الأكاديمية، ١٩٩٨)، ص ص ١٧-٣٦.
١٦- حنين عديل، ما هو التفاوض، موقع على الإنترنت: https://mawdoo3.com
17- Spiro,R.J.and Hehng,J.c., Cognitive Flexibility and Hypertext: Theory and Technology for the Nonliner and Multidimensional Traversal of complex Subject Matter, in Cognition, Education, and Multimedia Exploring Ideas in High Technology, Nix, D. and Spiro, R.J., eds., Lawrence Erlbaum Associates, Hillsdale, 1995, pp.160 -164.
١٨- حلمي محمد عبد العزيز الفيل، "تصميم مقرر إلكتروني في علم النفس قائم على مبادئ نظرية المرونة المعرفية وتأثيره على تنمية الذكاء المنظومي وخفض العبء المعرفي لدى طلاب كلية التربية النوعية" (رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية التربية - جامعة الإسكندرية، ٢٠١٣) ص ص ٤٤-٤٦. (الكويت، سلسلة عالم المعرفة، العدد ١٩٤٤،١٩٠)، ص ص١٧-٣٦.